الغزو الثقافي وتداعياته على أدب الطفل العربي

المحور الثالث –الغزو الثقافي والاستلاب الفكري عند أطفالنا

«تأثير التيكتوك على سلوكيات الناشئة»

الأستاذة ثورية هديوي

مديرة مؤسسة تعليمية

المغرب

بادئ ذي بدء، يسعدني أن أتقدم بجزيل الشكر والتقدير والامتنان، لجماعة أدب الطفل العربي، وعلى رأسهم الدكتور طارق البكري مؤسس الجماعة، وللجنة القائمة على هذا المؤتمر، المتعدد المشارب، والمعارف، والمعلومات، والذي أختير له كعنوان «الغزو الثقافي وتداعياته على أدب الطفل العربي» أشكركم على أن منحتموني هذه الفرصة، لعرض مقالتي حول «تأثير التيكتوك على سلوكيات الناشئة» وهو الموضوع الذي شغل بالي كثيرا، منذ أن ظهر هذا التطبيق الأخير، وأصبح جزء لا يتجزأ من الحياة اليومية لكل الناس، ولعلنا لا نختلف إذا قلنا أن الجميع وبدون استثناء، الصغير قبل الكبير يستعمله كل حسب اهتماماته وميولاته البحثية، فهو المصدر الأول في التأثير على الأبناء، لأنه أصبح معهم في كل مكان، وقبل أن نخوض في ثنايا الموضوع، لا بد أن نطرح بعض الأسئلة:

- كيف ظهر هذا التطبيق؟ ومتى؟ وأين؟
- كم عدد المشاهدات التي تحققها منشوراته يوميا؟
- ما هي الفئات الأكثر استعمالا لهذا التطبيق
- كيف يمكننا توجيه التطبيق لكل ما هو مفيد؟
- نتائج استبيان خاص باستخدامات تطبيق التيكتوك

حسب موقع تطبيقات العربي «يعتبر "تطبيق تيك توك" "TIK TOK" تطبيقا حديثا مقارنة مع التطبيقات الأخرى، حيث يرجع تاريخ إنشائه إلى عام 2016 من طرف بايت دانس في الصين تحت اسم Douyin، وفي عام 2017 نَزَلَت الشركة الصينية Byte Dance تطبيق TIK TOK على Apple store وGoogle play»[1] وقد سجل مستخدمو التطبيق صعوبة في التعامل مع السلطات الصينية في حالة وقوع ابتزاز إلكتروني، حيث أن تخزين كل البيانات يتم بالصين، وهو ما يشكل خطورة كبيرة على المشتركين في التطبيق.[2]

وقد استطاع هذا الأخير أن يحقق نجاحا باهرا بين تنزيلات تطبيقات الجوال الأخرى، وأصبح الأكثر استعمالا عالميا، في وقت قصير جدا وذلك نظرا للخاصيات التي يتميز بها، حيث يُمَكِّنُ مستعمِليه من نشر مقاطع فيديوهات قصيرة، كما يسمح أيضا بإضافة الموسيقى التصويرية للفيديوهات، وفَلَاتِر شبيهة بتلك الموجودة "بسناب شات"، زيادة على التأثيرات البصرية المختلفة، مما يجعل الفيديو أكثر إثارة للاهتمام، لذلك أصبح برنامج "التيك توك" "TIK TOK" واحدا من أهم وأشهر تطبيقات الهواتف للتواصل الاجتماعي، كما أصبح أكثر التطبيقات استخداما في العالم، كونه حصل على شعبية كبيرة جدا في جميع أنحائه، وخاصة بين فئة الأطفال والمراهقين، بعد أن تجاوز عدد المستخدمين مليارا ونصف مستخدم للعام 2023[3]، لذلك فقد كان تأثيره كبيرا للغاية على مختلف المجتمعات العربية والغربية، تأثيرا كان أغلبه سلبيا، مما دفع بالعديد من الدول إلى حظره مثل باكستان والهند، بسبب احتوائه على مواد غير أخلاقية، إباحية، تشجع على نشر الرذيلة والفسوق بين الشباب والمراهقين،[4] كما دفع بالعديد من الأطفال إلى الانتحار، بسبب بعض المقاطع التي قد تنشر في غفلة من الآباء، وقد انتشر التطبيق بين فئات المراهقين والأطفال انتشار النار في الهشيم، باعتبار أنه أصبح مصدر دخل يومي بالنسبة للملايين من الأشخاص في مختلف أنحاء العالم، خاصة أولئك التافهين الذين ينشرون التفاهة، فيحصدون العديد من المشاهدات التي تجعلهم يربحون الأموال الطائلة.[5]

يقول الدكتور مأمون علواني في برنامج إينغما على قناة ريتنغ «إن من سخرية القدر أن الإنسان بدأ حياته عاريا في الكهوف والغابات، غير أن دورة الحياة انتهت به عاريا في العالم الافتراضي في عصر التقنية، أصبح الناس مغرمين بالقبح والابتذال رغم شجبهم له في الواقع الحقيقي، والخطورة تكمن في أننا لا ندرك ما نحن فيه من حالة يرثى لها من موجات الفساد والإفساد والغزو الثقافي وتشابه الشخصيات، ويؤكد الفيلسوف ألان دونو أن السبيل للإطاحة بنظام التفاهة لا يمكن أن يتم إلا بطريقة جماعية وهو ما سماه بالقطيعة الجمعية، فيما يتقاطع مع مقولة عمر بن الخطاب رضي الله عنه " أميتوا الباطل بالسكوت عنه"»[6]

كم عدد المشاهدات التي يحققها التيكتوك يوميا:

حين بحثي عن عدد المشاهدات التي يحققها "التيكتوك" يوميا لم أجد الجواب الكافي باعتبار أنني لم أتوصل لكتب عن التطبيق، بل كان كل البحث في "اليوتوب" ومن خلال أناس عاشوا تجارب مع هذا التطبيق، أو أنجزوا بحوثا في الموضوع وكلما طرحت السؤال حول عدد المشاهدات التي يحققها "التيكتوك" يوميا، أجد الجواب في كيف تحقق مشاهدات تمكنك من ربح الأموال الطائلة؟ وهي دعوات للجميع لولوج التطبيق، والسعي إلى جلب المشاهدات ولو على حساب المحتوى المعروض، إلا أن بعض الجادين، أصبحوا يطالبون بضرورة عرض محتويات لائقة، ومفيدة، باعتبار أن التيكتوك في الصين، لديه شروط صارمة في نشر المحتويات حيث تفرض الخوارزمية الخاصة به أن ينشر كل ما هو مفيد للشباب، كالإنجازات العلمية والرياضية، وغيرها مما يشحذ هممهم للمزيد من البذل والعطاء لبناء مجتمعهم، كما تقيد الصين استعمال الأطفال للتطبيق في أربعين دقيقة يوميا وتحت مراقبة الآباء للمحتوى المعروض.

ما هي الفئات الأكثر استعمالا لهذا التطبيق:

حسب موقع Cyberone.co «فإن جميع فئات المجتمع طالها التأثير لذا فإن تأثير "التيكتوك" طال عدة فئات في المجتمع مثل:

- الأطفال من كلا الجنسيين
- المراهقين من كلا الجنسين
- الشباب المتزوجين وغير المتزوجين من كلا الجنسين.
- في بعض الحالات كان له تأثير على كبار السن»[7]

وعند البحث في الشروط التي يضعها "التيكتوك" لمستخدميه تجدها كالآتي:

- محتوى ملائم لإرشادات المنصة.
- محتوى غير عنيف أو مؤذ.
- لا يحتوي على ألفاظ نابية أو اباحية... إلخ.
- لا يحُض على الكراهية أو التنمر أو التحرش أو العنصرية.
- محتوى ملائم لجمهور المنصة.[8]

لكن هذه الشروط لا تجد لها أثرا في واقع الاستعمال، فكلها لا أساس لها من الصحة وإن وجدتها أمامك عند رغبتك في استخدام التطبيق.

وبما أن التيكتوك هو تطبيق يستطيع أي شخص الولوج إليه بغض النظر عن سنه، حتى وإن لم يكن مسجلا به، فإن الضرر الذي سيلحق الأطفال سيكون كارثيا، باعتبار غياب مراقبة الآباء وسهولة الولوج إلى كل المقاطع، نافعة كانت أم ضارة، محظورة أو مسموحا بها، وبما أن المقاطع الأكثر رواجا هي تلك التي تتضمن محتوى غير أخلاقي أو محتوى تافها، فأكيد أن الأطفال سيعرجون عليها، وقد يدمنون على متابعتها، ولم لا يقلدون بعض المقاطع، والتي قد تكون سببا في العديد من المشاكل الأسرية والمجتمعية، كنشر العنف، والدعوة إلى عدم احترام الأسرة، أو الترويج للمثلية وما شابه ذلك من الأفكار القذرة التي تسمم عقولهم وتحرمهم من عيش سليم في كنف أسرة متزنة.

حسب الدكتورة هبة حمادة الخبيرة بدمج التكنولوجيا والتعليم بلبنان في حوار مع إذاعة otv lebanon حول أنه يمكن لأي أحد أن يفتح حساب ولو كان عمره غير مناسب، مما يعرضه للخطر، بحيث سيفتح تيك توك ويرى كل ما هو منشور بهذا التطبيق صالحا كان أم طالحا، وسيقلده بطبيعة الحال.

تقول «للأسف في مطارح تكون فيها كلمات بديئة، إشارات سيئة، تكون فيها أغان غير مناسبة لأعمار الأطفال كلمات غير مضبوطة لأعمار الأولاد».[9] أما إن تحدثنا عن الشباب فالأمر أكثر ضررا، وأدعى إلى التفكير في حلول بديله من خلال التطبيق نفسه فأخلاق الشباب تدهورت بسبب المحتوى اللاأخلاقي الذي ينشر بشكل كبير في مقاطع قصيرة تدعو إلى الإباحية، والمثلية، والدعارة، والتواصل غير الشرعي بين الجنسين، مما أدى إلى تدمير النسيج الاجتماعي، وزيادة العنف الجنسي والجسدي في المجتمعات، ناهيك على أن تلك المقاطع تجعل المشاهد مسلوب الإرادة أمامها لساعات دون الانتباه للوقت، للعائلة، للمسؤولية الاجتماعية، مما يتسبب في العزلة والانطواء للأفراد، فبالرغم من التواصل مع العديد من الأشخاص الافتراضيين، إلا أنه يتسبب في عزلة اجتماعية واقعية مع أفراد الأسرة والأشخاص المحيطين بهم، ويقلل من الاهتمام بالعلاقات الاجتماعية الحقيقية، كما أنه يضيع الوقت والجهد في أشياء لا فائدة منها.[10]

فهل يا ترى سنستطيع نحن المهتمين بالشأن التربوي، أن تكون لنا بصمة ذات قيمة في هذا العالم الموبوء، وأن نغير محتوياته، من التافهة إلى ذات قيمة أدبية تربوية، تسعى إلى بناء المجتمعات بناء صحيحا يستمد قوته من القيم والأخلاق المتعارف عليها منذ بدء البشرية.

في كتابه: نظام التفاهة يقول د.آلان دونو: "نجحت مواقع التواصل في "ترميز التافهين" كثير من تافهي السوشيال ميديا و"الفاشينستات" يظهرون لنا بمظهر النجاح وهو أمر يسأل عنه المجتمع نفسه الذي دأب على التقليص التدريجي لصور النجاح التي تعرفها البشرية ككل، كالعمل الجاد والخير للأهل وحسن الخلق والتفوق في **الأكاديميا** والآداب والفنون، فألغاها جميعاً من قائمة معايير النجاح واختزلها في المال فقط"[11] وهذا هو واقع الحال للأسف الشديد، لذا أظن أنه لم يتبق لنا سوى التعامل مع الوضع وعدم ترك الفرصة لما يحدث بالخارج أن يتسلل بداخلنا، وأن نبتعد بأنفسنا عن الابتذال لأي غرض، حتى وإن كان سيعود علينا فيما بعد بالنفع المادي ، وإلا سينتهي بنا المطاف إلى أن نترك التعليم ونعمل فيديوهات نغني فيها أي كلام مهما كان منحطا.

علينا تنبيه الآباء إلى أنه يجب أن يؤدوا أدوارهم كاملة في تربية أبنائهم، وذلك بإرسال رسائل عبر التيكتوك نفسه، تبين كيفية التعامل مع الأبناء حين استعمالهم للهواتف أو أي وسيلة تواصل، وفي هذا الباب قمت بتجربة مع بعض الناس الذين يتواصلون معي كثيرا في الواتساب عبر ارسال مقاطع كل ثانية، أرسلت لهم فيديو من إنجاز شخص يدعى كريم إسماعيل، أنجزه بعنوان بارز «ممكن تمشي من هنا» يطلب فيه من مستعملي الإنترنيت بعدم الإدمان على كل ما ينشر لأنه يسبب لهم أزمات نفسية، لأن هناك من ينشر ولديه حياته الخاصة، ولديه عمله الخاص، لكن أنت مسلوب من طرف العديد ممن ينشر دون الانتباه إلى حياتك الحقيقية، وقد كان التجاوب كبيرا، يعني وصلت رسالة الفيديو بشكل مؤثر، حتى أن شخصا ما اعتذر عن كثرة الفيديوهات المرسلة.[12]

حصيلة نتائج استبيان خاص باستخدامات تيك توك:

فيما يخص الاستبيان فقد كانت أسئلته موجهة لعدة مجموعات واتساب من أعمار مختلفة وكانت النتائج المحصل عليها على الشكل الآتي:

الفئات العمرية

الفئة العمرية	الأطفال	الشباب	الكبار
النسبة المئوية	17.9 %	30.8%	51.3%

الجنس

ذكور	اناث
25.6%	74.4%

ماذا يمثل "التيكتوك" بالنسبة للفئة المستهدفة

الاستعمال اليومي	البحوث	الاستعمال العابر
15.4%	38.5%	46.2%

أكثر البرامج التي تتتبعها الفئة المستهدفة

الفيديوهات التربوية	الفكاهية	التحدي	الدينية	اللايفات
59%	35.9%	23.1%	53.8%	12.8%

الوقت المستهلك في المشاهدة اليومية

ساعة واحدة	ساعتان	3 ساعات
79%	13.3 %	7.7%

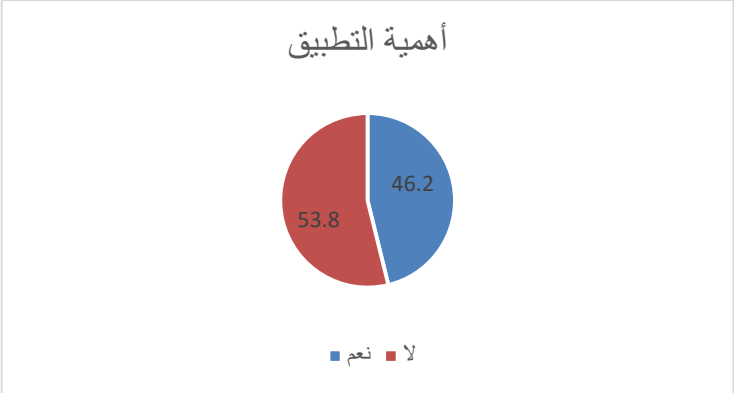

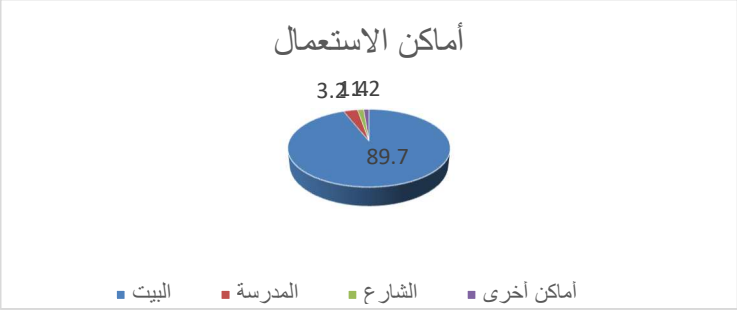

نماذج أجوبة تبرز إحساس الفئة المستهدفة بعدم أهمية التطبيق

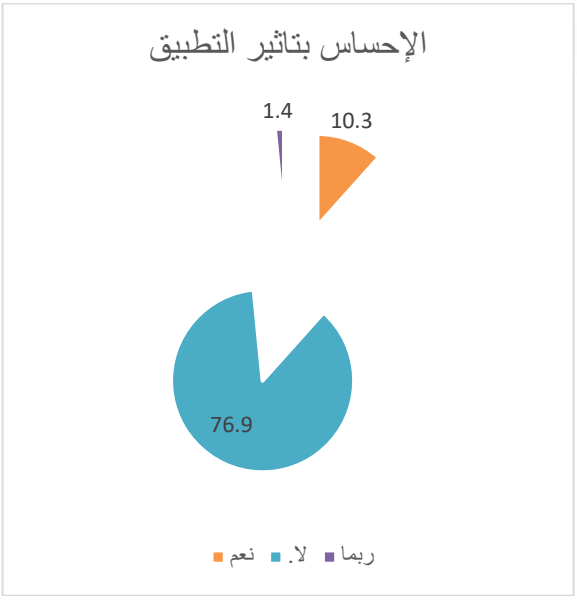

لأنه في بعض الأحيان أضيع الوقت في أشياء تافهة

لاحتوائه في الغالب على التفلهات

لا يعني شيء

لانه لا يفيد في التعمق في بعض المواضيع التي يطرحها ويمكن القول انه يستفزك للبحث اكثر في بعض المواضيع التي يطرحها

يكون المحتوى غالبا غيرمفيد

أستفيد منه

لانه لا يليق بالمسلمين و مليئ بالفساد و يدمر عقول الناس بالشهوة و الاشياء التي لا تنفع

لكون بعض المشاهد تافهة

أنواع الحسابات المتابعة من طرف الفئة المستهدفة

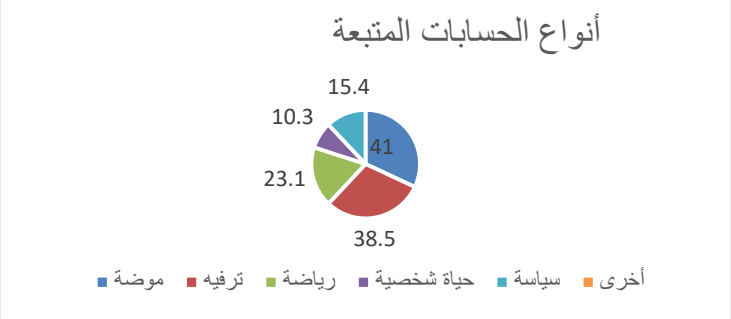

نماذج إجابات حول نوع التأثير الذي تحس به الفئة المستهدفة

القيام ببعض السلوكات

جوانب الوعي

لا تأثير

تعجبني الأغاني

ادمان الاطفال و تدمير عقولهم

لكوني ارى العامة والمشاهدين يقلدونهم

إضافة الوقت الكثير للتفرج على فيديوهات لا فائدة ترجى منها
وتأثيره القوي سلبي اكثر على الصغار لانه يستحون على عقولهم ويكثر على صحتهم ودراستهم

تأثير فكرى

وختاما، علينا تحمل مسؤوليتنا التاريخية تجاه الأجيال القادمة، فالخطر يحيط بهم من كل الجهات وعلينا أن نكثف جهودنا في سبيل تحقيق حصانة للنشيء ولو بنسبة 90%، فتطبيق "التيكتوك" اليوم يسعى إلى تغيير نظرة العالم السلبية له، على أنه لا يشمل إلا المحتويات التافهة والمتخلفة ش، فلنجعلها فرصة من ذهب للإستفادة من ميزاته، وانتشاره الواسع النطاق، ولنجعله يضج بالعلم والمعرفة، والتوعية، مع الإلتزام بالنصائح الآتية :«لاستخدام تيك توك لصالحك، من الضروري فهم الخوارزمية الخاصة به، والتي تروج للمحتوى بناء على سلوك المستخدم، يمكن أن يؤدي التفاعل مع النظام الأساسي عن طريق النشر بانتظام واستخدام علامات التصنيف الشائعة والتفاعل مع المستخدمين الآخرين إلى زيادة الرؤية والوصول».[13]

الهوامش:

[1] موقع تطبيقات العربي https://www.alarabiapp.com/2022/01/tiktok-why-are-teenagers-so-addicted-to-it.html?m=1 تاريخ التفقد 6يوليوز 2023 على الساعة 21h30

[2] قناة المحترف https://youtu.be/a0iw4Ue7ehk، تاريخ التفقد 20يوليوز 2023، على الساعة 23h

statista tiktok user numbers 2023 تاريخ التفقد 20 يوليوز 2023 على الساعة 21h

[3] قناة المحترف https://youtu.be/a0iw4Ue7ehk، تاريخ التفقد 20يوليوز 2023، على الساعة 23h

[4] قناة المحترف https://youtu.be/a0iw4Ue7ehk، تاريخ التفقد 20يوليوز 2023، على الساعة 23h

[5] عصر التفاهة/راقصو التيك توك/ د.مأمون علواني برنامج إينغما https://youtu.be/PowAKK7ccFA ، تاريخ التفقد 13يوليوز 2023،على الساعة 9h30

[6] موقع Cyberone.co تاريخ التفقد 3يوليوز 2023 على الساعة 23h37

[7] موقع قناة باب المعرفة، https://youtu.be/I1UWwXoRMdk، تاريخ التفقد 12يوليوز2023، على الساعة 15h

[8] إذاعة otv lebanon https://youtu.be/j9Vu5TPF-Ck، تاريخ التفقد 15 يوليوز 2023 على الساعة 12h

[9] الانسان العاري الدكتاتورية الخفية الرقمية مارك دوغان كريستوف لابي ترجمة سعيد بنكراد

[10] الان دولو نظام التفاهة دار سؤال اللبناني 2015 صفحة 52

[11] https://www.facebook.com/reel/2303793406492288?mibextid=gq7zp7&s=chYV2B&fs=e، تاريخ التفقد 18يوليوز 2023، على الساعة 18h00.

[12] موقع قناة باب المعرفة، https://youtu.be/I1UWwXoRMdk، تاريخ التفقد 12يوليوز2023، على الساعة 15h00

[13] Aljazeera Bytedance the company behind global tech giant Tiktok 2020 تاريخ التفقد 23 يوليوز 2023 على الساعة 15h